السادات يطالب بالتنسيق "الرسمي" بين الرجعيين

السادات ... مع الحمد والعشر !!

لم يكن صعبا على الحكم السوري فهم الاشارات السعودية والاميركية والاسرائيلية ، التي وجهت له عمليا ، خلال الاسابيع القليلة الماضية . لقد استوعب حكام دمشق معنى ان تضيق السعودية بفشلهم في حسم الامور في لبنان كما هو مطلوب منهم ان يفعلوا ، ومعنى ان تعبر واشنطن عن نفاذ صبرها من هذا الفشل ، وعن خشيتها من اطالة امد القتال في لبنان اكثر مما طال ، مما من شأنه كما جهرت بلسان دين براون ، تعزيز نفوذ التيار الثوري في الحركتين الفلسطينية واللبنانية . وقد كانت اسرائيل فجة في اشارتها ، ولم تتورع عن احراج دمشق مرة اخرى ، بأعلان رابين وبثقة تامة ، قناعته بأن الازمة في لبنان لا تسير على طريق الحل ، بل ان البلد سيشهد مرحلة من القتال أعنف من كل ما سبق حتى الان .

والتحريض الضمني للحكم السوري في هذه الاشارات من اجل حزم امره والعودة لاعتماد الخيار العسكري ، ليس مستترا بما فيه الكفاية. وقد استوعب الحكم السوري كل هذه الاشارات ، وسارع الى توقيت عملية اجتياح الجبل ، ليسبق انعقاد القمة العربية التي لا تزال موضوع مد وجزر ان من حيث الموعد ، عاجلا ام اجلا ، او من حيث المشاركة ، رباعيا ام سداسيا .

■■ دافع الاستفراد

فبالنسبة للحكم السوري يبقى تحديد موعد القمة العربية موعد حرج . لهذا وقت عملية اجتياح الجبل لتسبق انعقاد مؤتمر القمة ، مراهنا بأن يستطيع توجيه ضربة رئيسية ضد القوات المشتركة الوطنية والفلسطينية هناك ، نظرا لاهمية صمودها واستمرار تواجدها في الجبل ، والمرتبط بشروطها المعلنة وبالتالي للاهمية الرئيسية لاي ضربة يستطيع الغزاة السوريون توجيهها ضدها في تلك المنطقة .

فحافظ الاسد يراهن على قدرة قواته توجيه مثل هذه الضربة في الجبل ، حتى يذهب الى القمة العربية قويا ومستندا الى نتيجتها ، ويستطيع هناك ان يفرض تجديد الثقة به والتفويض له على اساس انه الطرف الوحيد القادر على تحقيق مستلزمات المخطط التصفوي المزدوج في لبنان ، وتكريس ادعاء حكمة القائل بأن لا حل « ملائم » يوقف القتال في لبنان ، الا الحل الاتي عن طريق دمشق .

اذ رغم ان الحكم السوري من بعد ان فشل في تحقيق الاهداف الرئيسية من عملية اجتياح قواته في شهر حزيران الماضي ، ركز على الخيار السياسي مكتفيا بالتلويح بالحسم العسكري ، الا انه لم يخرج من حسابه عدم ترجمة التهديد بالفعل ، كما ثبت اخيرا هذا الاسبوع ، بأنفجار المعركة على الجبل . فهو ظل مصرا ، رغم اندحاره في صيدا ، ورغم المقاومة الوطنية التي تواجهها قواته في بعلبك ، وفي البقاع ، ورغم المحاذير المختلفة للانخراط في هجوم عسكري شامل ، على عدم استبعاد لجوئه مرة اخرى الى الخيار العسكري ، لانه لا يزال مصرا على ان ينفرد بعملية فرض الحل للقتال في لبنان على الاسس المرسومة في المخطط التصفوي ، وليحقق لنفسه الوصاية على المقاومة الفلسطينية ، والهيمنة على لبنان في ظل نظام حكم رجعي تمر قراراته عبر دمشق .

■■ سباق المستثمرين

ورغبة حكام دمشق في الانفراد بجسم الوضع في لبنان للاستفراد بقطف ثماره تواجهها رغبة النظام الساداتي في المشاركة في قطف هذه الثمار المنتظرة ، ورغبة العربية السعودية في ان تحصل على النتائج « المرجوة » ، على صعيد المخطط التصفوي المزدوج الاهداف ، ولكن مع ضمان قيادتها لانظمة الاستسلام .

ولهذا يسعى الحكم السوري الى تحقيق نتيجة رئيسية ملموسة في الساحة اللبنانية قبل انعقاد القمة ليعطي الرياض المبرر باستمرار التأييد للدور السوري وعدم الاخذ بالموقف المصري القائل بأن السوريين فشلوا في حسم الامور في لبنان ، وان « التنسيق » العربي اصبح لا بد منه لتحقيق ذلك ...

فقد كان السادات واضحا في كلامه عندما هاجم الدور السوري واتهم دمشق « بتقويض الجهود العربية التي تبذلها البلاد العربية لاحتواء النزاع اللبناني » ، مشيرا الى ان مصر « لن توافق على حلول وسط بشأن التدخل السوري .. ولا يمكن لاي تسوية غير لبنانية ان تحل ازمة لبنان ... ويجب على الجهد العربي ان يكون منسقا لان الانفراد لن يحقق مكسبا لاحد » ..

وبقدر ما كان واضحا كلام السادات الذي القاه عشية تفجير الغزاة السوريين معركة الجبل ، بقدر ما كان واضحا لدمشق ايضا الحديث الرسمي الاميركي الشهير ، قبل بضعة اسابيع ، والذي كان ذو حدين : تحذير دمشق بسحب التفويض الاميركي لها بالتدخل لاستكمال المخطط التصفوي في لبنان ، لفشلها في تحقيق الحسم المنشود ، اميركيا واسرائيليا ، وفي الوقت نفسه تحريضها على الاسراع في التحرك العسكري لتحقيق ما لم يتحقق ، قبل فوات الاوان .

■■ المؤشرات التمهيدية

ولم تبخل دمشق في توفير المؤشرات الى احتمال تفجيرها معركة الجبل . ولم تبخل في ذلك ايضا الجبهة الانعزالية التي دأبت طوال الشهر الماضي تتحدث تحفيزا وتحريضا ، عن عمل عسكري سوري حاسم على الابواب ، وقد كانت متضايقة جدا من تردد دمشق وتركيزها على التحرك السياسي بالضغط والابتزاز وبعملية بعث الزعامات التقليدية الرجعية ومحاولات الاجتواء وزرع الالغام في المناطق الواقعة تحت سيطرة القوات الوطنية .

ولكن في الوقت الذي كانت تنشط فيه دمشق على هذا الصعيد لخلق « المعادلات الجديدة » ، التي تضمن عزل الحركة الوطنية وتقوي جبهة الكفور ، كان الخيار العسكري واردا ، وقد استخدمته سلاح تهويل وتهديد يومي لاستحصال التنازلات بالاسلوب السياسي . فمن جهة واصلت اساليب المماطلة ورفضت البحث في وقف لاطلاق النار ، بل وحتى في هدنة مؤقتة ، مصرة على ان يسبق البحث في كل ذلك ، انسحاب القوات المشتركة من الجبل - وهو المطلب الملح لجبهة الكفور - اي ان دمشق ظلت تصر حتى اللحظة الاخيرة التي سبقت انفجار المعركة حول الجبل ، على استسلام وطني وفلسطيني ، باعتبار ان التواجد في الجبل هو الورقة الرئيسية للوطنيين .

ومن جهة ثانية راحت اوساط جبهة الكفور تتحدث عن « العملية الجراحية » ، وتستخف بأي حديث عن « طاولة مستديرة » او عن « حوار بين أطراف النزاع » . وراج الجميل يطالب بقوات ردع تقوم « بتأديب القلة المخربة » ، وسورية تحديدا ، على اساس ان قوات الامن العربية «منحازة » في نظر جبهة الكفور . كما راح يطرح علنا مطلب استقدام قوات فرنسية تتولى «الامن» في مناطق سيطرتهم الانعزالية تحقيقا « للتوازن» في حال تحقيق مطلب قوة ردع عربية «غير منحازة» لمناطق السيطرة الوطنية ..

ان تلك المواقف القائمة والمستجدة ، لحكام دمشق وزعماء جبهة الكفور ، كانت تؤشر الى تصلب اطراف المؤامرة في المطالب التي تستلزمها مشاريعهم المتوافقة . الاصرار على تحقيق اهداف المخطط التصفوي ، والاصرار على المطالب التي تسهل لهم الانتقال الى مرحلة استفراد الطرفين الوطني والفلسطيني ، كل على حدة . واذا كان الانعزاليون يثيرون مزاعم « انحياز » قوات الامن العربية ضدهم ويطالبون بقوة ردع عربية « غير منحازة » (وهم يستهدفون المشاركة الليبية في هذه القوات) لتوفير المبرر لمطالبتهم باستقدام قوات فرنسية الى مناطق سيطرتهم ، فانهم في ذلك يشاركون حلفاءهم حكام دمشق ، في الوقت نفسه ، في جهودهم للانفراد بحسم الامور في لبنان وقطف ثمار العملية وحدهم ، بالنيل من وجود هذه القوات كقوات غير منحازة وغير فاعلة .

والان وقد استجاب الحكم السوري للاشارات التهديدية - التحريضية في الرياض وواشنطن بسحب الثقة والتفويض المعطى له بتردده عن اللجوء الى الحسم العسكري بعدما فشلت مناوراته وابتزازاته السياسية ، في تحقيق التنازلات الاستسلامية فأن الفارق كبير بين استجابته ومباشرته معركة الجبل وبين ان يستطيع تحقيق أهدافه بالقوة العسكرية .

■■

إستمرار تدفّق المرتزقة على مرفأ جونية

● النبأ الذي نقلته وكالة « وفا » في الاسبوع الماضي عن وصول اكثر من ٧٠٠ من المرتزقة الاوروبيين للانخراط في صفوف القوات الانعزالية اثار ردة فعل سريعة في احدى البلدان التي ينتمي اليها جزء كبير من هذه المجموعة الاخيرة التي وصلت الى مرفأ جونية . فعلى اثر انتشار النبأ ، قدم نائب يساري في البرلمان الايطالي سؤالا للحكومة دفعها الى التحرك بدورها لتكليف السفارة الايطالية في بيروت التحقيق في الامر مدفوعة في استجابتها بضغط التحرك الجماهيري هناك المؤيد للثورة الفلسطينية وللحركة الجماهيرية اللبنانية في مجابهتها الانعزالية الفاشية وقوات نظام الحكم السوري المتآمر ضدها .

ونبأ وصول هذه الدفعة الجديدة من المرتزقة الاوروبيين الى جونيه مؤخرا ، انما يؤكد استمرار تدفق قوات المرتزقة للالتحاق بالقوى الانعزالية . وهو بالتالي يعزز التحليل الذي حذر من التعلق بأوهام « حل في متناول اليد » للقتال الدائر ، واعتبار ان تسلم الرئيس سركيس لمنصبه يحمل معه الحل او قرار الاطراف المتآمرة بالارتداع والرجوع عن مخططها . فأستمرار تدفق المرتزقة الاجانب واستمرار وصول شحنات الاسلحة الى مرفأ جونية، يشكل ادلة اضافية الى ان الانعزاليين مصممون مع الحكم السوري على مواصلة القتال.

وتجنيد المرتزقة في اوروبا الغربية لارسالها الى قوات اليمين الانعزالي في لبنان ، لا يمكن ان يتم من دون موافقة الدوائر الحاكمة في بلدانهم . فعمليات التجنيد والتدريب للمرتزقة تتم على يد خبراء في مقرات حلف شمال الاطلسي ومراكز وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية . كما ان عملية تمويلهم وشحنهم الى جونية تتم على يد الاوساط النافذة في الغرب ، المتسترة وراء واجهات الشركات الخاصة والوسطاء المجهولين ..

ومن السخف الاعتقاد بأن هذه العمليات لتوفير المرتزقة للقوات الانعزالية يمكن ان تجري دون اثارة شكوك هيئات مكافحة التجسس التابعة لبلدان حلف شمال الاطلسي او شرطة الانتربول او قطع الاسطول السادس الاميركي في المتوسط ، وغيرها ، لولا تواطوء هذه الاجهزة ، وتوفيرها ما يلزم والتغطية المطلوبة لنقل القتلة المحترفين هؤلاء لتشكيل مساندة عسكرية لاداة المؤامرة المحلية .

وتنشر الصحافة الاوروبية منذ عدة اشهر المعلومات حول دور المرتزقة الاوروبيين الى جانب القوات الانعزالية اللبنانية . وكانت تنشر اسماء بعض هؤلاء من عائدين او من الذين قتلوا خلال المعارك ، في احيان عديدة ، مشيرة الى نشاطاتهم الاجرامية السابقة ، ان في الكونغو أو في انغولا وغيرها . ولكنها كانت دائما تكتب في هذا المجال وكأن المسألة مسألة خاصة لا تخص سوى المرتزق نفسه والجماعات التي تعيش على تصدير هذه « السلعة الاستعمارية». ان المرتزقة الذين يتدفقون على جونيه وينخرطون في صفوف القوات الانعزالية يشكلون اليوم ما يمكن ان يسمى بـ « فيلق اجنبي دولي » خاص من نوعه ، تابع للاوساط الامبريالية ، يحقق لها التدخل المستتر ضد انتفاضات شعوب مناضلة من اجل استقلالها وحريتها ، في الوقت الذي اصبح يصعب بصورة متزايدة على البلدان الامبريالية التدخل العسكري المباشر لمساندة القوى الرجعية المسلحة التابعة لها والمدافعة عن مصالحها الامبريالية في البقعة المشتعلة .

وفي لبنان تتدخل الولايات المتحدة واسرائيل تدخلا مباشرا في رعاية العملية المتكاملة للارسال المنتظم للمرتزقة الاجانب الذين تجندهم في بريطانيا ، فرنسا ، ايطاليا والمانيا الغربية ، بالاضافة الى مجموعات من الفاشيين القبارصة الذين طالما كانوا الاداة الاطلسية ضد نظام حكم الرئيس مكاريوس الحيادي . وهذه القوات المرتزقة تشكل عمليا « الملحق الحي » لامدادات السلاح التي تتدفق على القوات الانعزالية الفاشية من الدوائر الاطلسية والاسرائيلية . واذا كان استمرار وصولها الى مرفأ جونيه دليلا على حاجة الانعزاليين الى مثل هذه المساندة من محترفي القتل من اي وكر اتوا ، فأنه ايضا دليل على تصميمهم مواصلة القتال استكمالا للمخطط الذي ينفذونه مع النظام السوري المتآمر ، ضد الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية ، لحساب الولايات المتحدة واسرائيل .